دولة البريديين والخلافة العباسية

الدكتــور

محسن سعد عبد الله ناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الدارس لتاريخ الدولة العباسية فى عصرها الثانى وفى أوائل عصرها الثالث يجد أن خلفاء العصر قد عانوا من كثرة المشاكل التى أحاطت بهم بصورة ليس لها نظير فى العصر العباسى الأول ولسنا هنا بصدد ذكر الأسباب التى يعزى إليها هذا التغير حيث إن ذلك يحتاج إلى دراسة مستفيضة تخرجنا عما نحن بصدد الحديث عنه إلا أننا نقول على سبيل الإجمال إن هذا التغيير جاء نتيجة ضعف الثقة بين العرب والخلفاء وفتح الأبواب على مصارعيها أمام العناصر التركية والفارسية ليصل بعض أفرادها الطامحين إلى المناصب الرفيعة فى الدولة وهذه العناصر هى الأخرى عانت من الصراع المرير الذى كثيراً مادار بين بعضها من أجل زحزحة هذا العنصر وجعل غيره يحتل مكانه.(١)

ناهيك عن ضعف العديد من خلفاء هذا العصر وعدم استطاعتهم القضاء على طموحات القادة وهى فى مهدها، وصار الوصول إلي المناصب لايعتمد إلا على الطموح الشخصى مع كثرة المال الذى يحصل من هنا أو هناك. بحق أو بدون حق .

المهم أن يصل الشخص الطامح إلى مآربه بغض النظر عن شرعية الوسيلة التى سلكها من أجل تحقيق أمله المرتجى .

وفى ظل وزراء ضعاف كعلى بن عيسى(٢)

---

(١) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف "العالم الإسلامى" فى العصر العباسى ص٣٧٢ ط (٥) دار الفكر العربى .

(٢) هو ابن داود بن الجراح البغدادى يكنى بأبى الحسن، وزر لاكثر من خليفة مثل المقتدر ثم القاهر، كان محدثاً عالماً كبير الشأن، قال عنه الذهبى كان فى الوزراء كعمر بن بن عمر العزيز فى الخلفاء، عاش تسعين عاماً، توفى سنة أربع وثلاثين وثلثمائه .الذهبى "العبر" جـ٢ ص ٤٨ تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى ط دار الكتب العلمية بيروت .

وابن مقلة[١] وغيرهما[٢]. نشأت أسرة البريديين التى كانت بالأمس خاملة الذكر فإذا بها تظهر على مسرح الأحداث وتؤثر فى مجريات الأمور تأثيراً بالغا إلى حد أن عميدها عبد الله البريدى كثيراً ماراودته الأمانى العذبة للتربع على دست إمرة الأمراء فى بغداد[٣].

وحتى نرى ماآلت إليه الخلافة العباسية من ضعف جعل أمثال هذه الأسر يكون لها مثل هذا التأثير المنوه عنه يحسن بنا ذكر إلماعه عن نشأة هذه الأسرة وكيف أنها استطاعت اهتبال ظروف الخلافة لتنشىء لنفسها دولة على حد قول أحد المؤرخين القدامى.[٤]

---

(١) هو أبو على محمد بن على بن الحسين، الكاتب المشهور كان فى أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبى خراجها واستوزر، الإمام المقتدر فى ١٤ ربيع الأول سنة ٣١٦ وقبض عليه ثم نفاه إلى فارس ثم استوزره الإمام القاهر بالله سنة ٣٢٠ ولما قدم بجكم التركى من بغداد وكان من المنتمين إلى ابن رائق أمر بقطع لسانه أيضاً فقطع وأقام فى الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ولم يكن له من يخدمه ولم يزل على هذه الحال إلى أن توفى فى موضعه سنة ثمان وعشرين وثلثمائه عن عمر بلغ ستين سنه ودفن فى عدة أمكنة بسبب خوف أهله على جثته بعد وفاته من التمثيل بها .

ابن خلكان "وفيات الأعيان" ج٥ ص ١١٣، تحقيق د/إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت لبنان .

ابن العماد الحنبلى "شذرات الذهب" ج٢ ص ٣١، ٣١١ .

(٢) أحمد شلبى "موسوعة التاريخ الإسلامى" ج٣ ص ٤٠٩ ط ٣ مكتبة النهضة المصرية ديسمبر ١٩٧٨ .

(٣) حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف "العالم الإسلامى فى العصر العباسى" ص ٣٧ .

(٤) ابن كثير ت ٧٧٤ هـ "البداية والنهاية" ج ١١ ص ٢١١ ط دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٨ هجرية .

فالبريديون نشأوا فى ظلال محمد بن ياقوت الذى كان شخصية مرموقة يعهد إليها بالأعمال من قبل الخلافة العباسية مثل الأهواز(١) وغيرها .

ذلك أن عبد الله البريدى كان يعمل كاتباً لمحمد بن ياقوت(٢). ويلوح لنا أن هذه الوظيفة جعلت أبا عبد الله البريدى على مقربة من أولى الأمر فى الدولة العباسية مما جعله يسلك الدرب الذى يوصله إلى المناصب بدون عناء وآية ذلك أنه قد حصل لنفسه ولأخويه أبى يوسف وأبى الحسين ضمان الأهواز .

وقد تحقق لأسره البريدى هذا الضمان بفعل مابذلوه من رغائب للوزير ابن مقلة فى خلافة المقتدر ومن ثم فإن الذى لامراء فيه أن تتأثر هذه الأسرة بما يحدث لهذا الوزير الذى عزله المقتدر واستبدل سليمان بن الحسن به(٣)، فلما استوى على كرسى الوزارة استصدر

---

(١) إقليم يقع فى أقصى الشمال الشرقى فى الخليج العربى تم فتحها فى ١٦ هـ فى خلافة عمر بن الخطاب على يد حر قوص ابن زهير السعدى بتأمير عتبه بن غزوان، من أعمالها تستر وجند يسابورسوس .
أحمد عطيه الله "القاموس الإسلامى" ج١ ص ٢١١ ط دار النهضة المصرية سنة ١٣٨٣ .
عبد السلام الترباننيى "أزمنة التاريخ الإسلامى ج٢ ص ١٠٢١ ط١ سنة ١٤٠٢ هجريـه .

(٢) محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٢٩٣ .
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط٢ .
حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف "العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص ٢٧٤ .

(٣) أبو القاسم سليمان بن الحسن وزر الراضى ثم ملك المتقى بالله فأبقاه على حاله وتوفى فى رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائه ابن الجوزى "المنتظم" ج٦ ، ص ٣٣٨ .

أمرا بالقبض على أولاد البريدى بناء على توجيهات من الخليفة المقتدر وقد استطاع البريديون الخروج من معتقلهم هذا بسبب كتاب نسبوه إلى الخليفة زوراً فيه أمر بإطلاق سراحهم وإعادتهم إلى أعمالهم التى كانوا عليها قبل اعتقالهم .

ولم تكد تمضى إلا عشية أو ضحاها على إطلاق سراحهم حتى تبين للخليفة ووزيره أن الكتاب منحول على الأول فألقى القبض على البريديين ثانية وجىء بهم إلى بغداد وصودوروا على أربعمائة ألف دينار[١] .

وقد جرت الأحوال فى حاضرة الدولة العباسية بأنه عندما يبايع خليفة جديد أو يؤول منصب الوزارة لشخص قد عزل عنه أو تولاه لأول مرة أن يقوم بحملة من المصادرات لأموال كبار الشخصيات فى الدولة. ويظهر لنا أن أولاد البريدى كانوا محط أنظار المتصارعين على المناصب فى الدولة فحين تولى القاهر الخلافة وجاء بأبن مقلة فى الوزارة من جديد صادر الوزير البريديين على مبلغ من المال[٢].

لم تفت هذه المصادرات المتتالية فى عضد البريديين فظل عبد الله ملازما لمحمد بن ياقوت الذى عهد اليه الخليفة الراضى بحكم الأهواز بيد أن محمداً لم يهنأ بحكم هذا الإقليم طويلاً ذلك أن مرداويج الديلمى[٣] ساءه أن على بن بويه أستطاع الإستيلاء عليه

---

(١) ابن الأثير "الكامل" ج٨ ص ٢٩ ط دار صادر بيروت سنة ١٣٩٩هـ ابن خلدون "العبر" وديوان المبتدىء والخبر فى تاريخ العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر" ج٦ . ص٨٠٤ ، ٨٠٥ ط٢ دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٧٩م .

(٢) ابن خلدون "التاريخ" ج٦ ص ٨١٩ .

(٣) من أكبر قادة الديلم ومن نفسه بإعادة دولة العجم الى الوجود، قتله غلمانه بالحمام سنه اثنتين وعشرين وثلاثمائه .
بن العماد الحنبلى "شدرات الذهب" جـ٢ ص ٢٩٢، ٢٩٣ .

من محمد بن ياقوت الذى لاذ بواسط[١] وكاتبه عبد الله البريدى الى البصرة[٢] .

لينظرا ماسيكون من أمر الصراع بين مرداويج وعلى بن بويه على الأهواز[٣] .

وعلى الرغم من هذه الظروف التى بلغت مداها فى الشدة فإن أبا عبد الله البريدى استطاع تدعيم مركزه فى الدولة فصار يتصرف فى ضمان أسافل الأهواز بعد إستيلاء مرداويج على الإقليم بالإضافة إلى البصرة .

ومنع آل البريدي إرسال المال إلى الخلافة على زعم أن الأموال قد سلبها من الأهالى عمال مرداويج واحتفظ البريديون بها لتدعيم مركزهم فى الدولة حتى يصلوا إلى ماتمنوا الوصول إليه من المناصب الرفيعة كما أومأت الى هذا آنفاً .

ولما أراد ابن مقلة الوقوف على جلية الأمر أشخص رسولاً من عنده الى البريديين فواطأهم وأوهم الوزير ابن مقلة بصدق مازعمه البريديون من أخذ عمال مرداويج المال من الأهالى[٤] .

---

(١) مدينة تقوم فى وسط السواد بالعراق بناها الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراقيين وأضحت من أهم المدن بين البصرة والكوفه ، عبد السلام الترباننيى "أزمنة التاريخ الإسلامى" ج٢ ص ١٠٩١ .

(٢) ميناء عراقية تقع على شط العرب بعد التقاء نهر دجله بالفرات وعلى مسيرة ٧٥ ميلاً من رأس الخليج العربى وسطاً أحراش من النخيل وهذه المدينة أسسها عتبه بن غزوان عام ١٦ هـ .
أحمد عطيه الله "القاموس الإسلامي" ج ١ ص ٣٢٢ .

(٣) ابن عبد الملك "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٢٩٣ .
ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص ٢٨٩ ، ص ٢٨٦ .

(٤) النويرى "نهاية الأرب" ج ٢٣ ص ١٣٠ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب تحقيق أحمد زكى .

أفاد هذا المال البريديين كثيراً ذلك أن دار الخلافة ازداد عجزها عن دفع أرزاق جماعات كبيرة من الجند فوجد ابن مقلة نفسه مضطراً إلى إرسالهم لعبد الله البريدى الذى ضمهم إليه وتقوى بهم وأغدق عليهم الأرزاق، الأمر الذى سهل على عبد الله المضى قدماً من أجل تحقيق أطماعه فى السلطة(١) .

لم يدم طويلاً ترقب محمد بن ياقوت وعبد الله البريدى للصراع بين البويهيين ومرداويج على الأهواز فان الإنقسام الذى دب فى دولة مرداويج بعد وفاته جعل الصراع على الأهواز ينتقل إلى مرحلة جديدة شكل فيها محمد بن ياقوت العقبة التى ماتزال تحول بين البويهيين وبين الإستيلاء على الأهواز .

وعلى كل حال فإن محمد ابن ياقوت وكاتبه عبد الله البريدى سهرا على تجهيز الجيوش للقاء البويهيين فى الأهواز، فدارت بين الفريقين معركة عند أرجان(٢) أسفرت عن هزيمة قوات محمد بن ياقوت على يد البويهيين .

ولما كان عبد الله البريدى يتمتع بحنكة وكياسة لانظير لهما فإنه حول هذه الهزيمة التى لحقت بقوات الخلافة العباسية فى أرجان لتدعيم مكانته عند الفريقين، حتى يمكن لنفسه الإستفادة من أحدهما إذا ماألجأته الظروف الى هذا من أجل تحقيق أطماعة الشخصية. فسعى إلى الصلح بين البويهيين ومحمد بن ياقوت وأرسل عبد الله البريدى بهذا إلى الخليفة الراضى فأجابه إليه وبمقتضى الصلح

---

(١) محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٢٩٤.

(٢) مدينة فارسية قديمة تقع بالقرب من الخليج العربى الفارسى على الطريق من الأهواز التى تبعد عنها ٣٧ ميلاً ولم يبق منها سوى أطلال دارسة ويطلق عليها اسم أرغان .
ابن عبد الحق "مراصد الإطلاع" فى أسماء الأمكنة والبقاع ج ١ ص٥٢ ط١ سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م دار إحياء الكتب العربية ، أحمد عطية الله "القاموس الإسلامى" ج١ ص ٦٣ .

المذكور أعطى الخليفة بلاد فارس لعلى بن بويه وبقى ياقوت بالأهواز ومعه كاتبه عبد الله البريدى[١].

وجد عبد الله البريدى أنه لاسبيل إلى تحقيق مآربه فى تولى المناصب الرفيعة فى الدولة إلا إذا تخلص من سيده ياقوت فطفق يدبر عليه من أجل التخلص منه فأوهم عبد الله ياقوتا بأن نعمه عليه تلزمه العمل على راحته وترك التدبير له فزين عبد الله لأمريه ياقوت الإقامة فى عسكر مكرم وجعله يقيم فى الأهواز .

وهو له مطيع سامع[٢] .

ولما كان ياقوت قد أولى كاتبه أبا عبد الله البريدى الثقة المطلقة فإنه قد أخذ برأيه دون ارتياب، فوافقه على إقامته بالأهواز بينما يبقى ياقوت فى جمع من جيشه بعسكر مكرم .

لم يكن هذا الرأى الذى ذكره عبد الله لسيده إلا لأجل خلو الجو له ليتمكن من استغلال أموال الأهواز لصالحه واستقدام من يشاء من الجنود اليها حتى إذا ماأنس فى نفسه قوة قلب لسيده ياقوت ظهر المجن وآية ذلك أن ياقوتاً لما أعوزته الحاجة إلى مزيد من الأموال غير تلك التى حددها البريدى وهى خمسون ألف دينار لإعطاء الجند الأرزاق بعث الى البريدى فى الأهواز حتى يرسل اليه المال اللازم فأجابه عبد الله بما يمكن لنفسه ويضعف من شأن سيده فقال له: إن لديه جماعات لجند التى بعث بها ابن مقله اليه مثل البربر، والشفيعيه والنازوكيه وهؤلاء يحتاجون الى عطاء كثير يفوق

---

(١) ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص ٢٨٧ ، ص ٣٠٦ .
الذهبى "دول الإسلام" ج١ ص ١٩٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق فهيم محمد شلتوت .
ابن خلدون "التاريخ" ج ٦ ص ٨٢٩ ، ص ٨٣٤ .

(٢) أبو على أحمد بن محمد المعروف بمسكويه "تجارب الأمم" ج١ ص ٣٣٩ ط مطبعة التمدن سنة ١٣٣٢ هـ .

غيرهم من طوائف الجند حيث كانوا يستمتعون بذلك عند ابن مقلة وذكر له البريدى أنه إن قصر فى أعطياتهم جاءوا إليك بعسكر مكرم وحينئذ لايمكننا تدارك مايمكن حدوثه من شر وأن الجند الموجودين بطرفك يقنعون بقليل من المال[١].

قبل ياقوت اعتذار كاتبه عبد الله البريدى عن عدم إرساله مزيد من الأموال بيد أن هذا القبول لم يكن يعنى ديمومة الاستقرار بين جنده المقيمين معه فى عسكر مكرم فقد رأى هؤلاء أن البون شاسع فى العطاء بينهم وبين جند عبد الله فى الأهواز فأبدوا تذمرهم ليقاوت وأخذ بعضهم يتسلل إلى عبد الله البريدى بالأهواز .

وعندما وقف ياقوت على ظاهرة تسلل الجند إلى البريدى لم يدرك عواقب ذلك وهون من هذه الظاهرة فقال لاشىء فى هذا أنهم يذهبون الى كاتبى ومع ذلك فإنه لثقته المفرطة فى البريدى أرسل اليه ثانية رسالة أطلعه فيها على حقيقة مايعانيه بالنسبة لموقف الجند منه ومطالبتهم له بالمزيد من العطاء[٢] .

وإن الأمر قد ازداد سوءا نتيجة انصراف طاهر الجيلى عنه فى ثمانمائه من رجاله وأعلم ياقوت البريدى بأنه إن لم يعجل بإرسال المال إليه فإن الجند سيتركونه ويعينون عليهم أميراً منهم[٣] فأجابه أبو عبد الله البريدى بقوله "إن عسكرك قد فسدوا وفيهم من ينبغى أن يخرج" وذكر له أن الرأى انفاذهم" إليه ليستصلحهم فإن له أشغالا تمنعه أن يحضر عنده ولو حضر عنده والجند مجتمعون لم يتمكن من الإنتصاف منهم لأنهم يظاهر بعضهم بعضاً وإذا حضروا عنده بالأهواز متفرقين فعل بهم ماأراد ولايمكنهم خلافته"[٤].

---

(١) ابن مسكوية "تجارب الأمم" ج١ ص ٣٣٩. ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص٣١٦.
(٢) ابن خلدون "التاريخ" ج ٦ ص ٨٣٤ .
(٣) مسكوية "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٤٠ .
(٤) ابن الاثير "الكامل" ج ٨ ص ٣١٧ .

ولكون ياقوت صافى النفس فإنه قبل اقتراح كاتبه فطفق يرسل الجند جماعات إلى البريدى فاستصفى لنفسه ذوى البنية القوية والطاعة المرضية منهم ورد الباقى على ياقوت وبهذه الفعلة يكون البريدي قد أسهم فى تضييق الأمور على سيده أكثر من ذي قبل.

ولانجد كبير عناء فى التماس السبب الذى يعزى إليه نجاح أبى عبد الله البريدى فى ضم مايربو على نصف جيش ياقوت إليه ذلك أن عبد الله استطاع ضم رسل ياقوت إلى جانبه بفعل المال الذى أغدقه عليهم فصار الجميع يعمل على تضييق الخناق على ياقوت وعلو كعب البريدى. أيس ياقوت من جدوى إرسال الرسل إلى البريدى فأزمع على السير إليه بنفسه برفقة ثلاثمائه من رجاله حتى لايظن البريدى أنه جاء لحربه ففصل من عسكر مكرم إلى الأهواز فلما رآه البريدى ترجل له وأظهر من ضروب الطاعة ماتسر به نفس ياقوت، وبينما هو كذلك إذا بالجند يقومون بثورة مدبرة أوهم البريدى ياقوتاً أن القصد منها الإجهاز عليه نتيجة قلة المال المعطى للجند بالأهواز وأشار عليه بضرورة التعجيل بالخروج من البلد الى حيث يقيم مع جنده بعسكر مكرم فخرج ياقوت من توه سالكاً طريقا غير مألوف فآب يجر ذيول الإخفاق وزادت الأمور شدة عليه(١).

لم يكتف البريدى بما فعله بسيده بل زاد علي ذلك أن كتب إليه كتاباً ظاهره النصح والخوف عليه وباطنه إبعاده عن الأهواز حيث إن عسكر مكرم لايفصلها عنها سوى ثمانية فراسخ حتى يكون البريدى فى مأمن من ميل بعض الجند الياقوتية إلي سيدهم حين تزداد عليه الملمات نتيجة قلة المال فقال له "الرأى أن تذهب إلى

---

(١) ابن مسكويه "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٤٢ .
محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣٠١ .

تستر[١] فإن بينها وبين الأهواز ستة عشر فرسخاً وإذا نأت الدار زال الإستيحاش وسبب له على عامل تستر بخمسين ألف دينار فخرج إليها"[٢].

وعلى الرغم من أن البريدى استطاع بما له استمالة مستشارى ياقوت الذين اصطفاهم لنفسه وكان يثق فيهم ثقة مطلقة[٣] إلا أنه بقى لياقوت خادماً مخلصاً يسمى مؤنساً تذكر المصادر التاريخية أنه كان ذا رأى سديد إلا أن ياقوتاً لم يحسن الإستفادة منه قبل استفحال الأمور بالشكل الذى يصعب عليه معالجتها .

فلما أحس مؤنس أن سيده يوشك على الهلاك نتيجة مايحيكه البريدى من مؤمرات عليه خلا بسيده وقال له "إن البريدى يحز مفاصلنا مفصلاً مفصلاً ويسخر منا وأنت مغتر به وقد حاز شطر رجالنا ووجوه قوادنا إلى نفسه وضن لنا اليسير من المقرر وليس يطلق ذلك أيضاً ليستأمن إليه الباقون ثم يأتى على أنفسنا، وقد اتصلت كتب الحجرية اليك بأنه لم يبق لهم شيخ غيرك فإما دخلت بغداد وجميع من بها يسلم لك الرياسة وأولهم محمد بن

---

(١) تطل على نهر دجيل أو قارون بالقرب من الحدود الإيرانية العراقية فيما يعرف بإقليم خوزستان وتقع مدينة الأهواز إلى جنوبها اشتهرت تستر بقناطرها وقنواتها المائية التي اختطت منذ العصر الساسانى استولى عليها البراء بن مالك عام ٢٠ هـ فى خلافة عمر،
أحمد عطية الله "القاموس الإسلامى" ج١ ص ٤٤٦ .
عبد السلام الترياننى "أزمنة التاريخ الإسلامى "ج٢ ص ٣٣ . ١ ق٤.

(٢) ابن مسكوية "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٤٢ .
ابن الأثير "الكامل" ج٨ ص ٣١٨ .

(٣) ابن مسكوية "تجارب الأمم" ج١ ص ٣٤١ .

رائق(١) بالضرورة لسنك وإنك نظير أبيه وإما خرجت إلى الأهواز حتى تطرد البريدى منها وتقيم أنت بها فإنا وإن كانت عدتنا يسيرة دون عدته فهو كاتب ونحن في خمسمائة رجل وهو فى عشرة آلاف رجل وقد أحصيت من عندنا فوجدتهم نحو خمسة آلاف رجل وفيهم كفاية والعسكر بصاحية وأنت أنت وقد قال عدوك على بن بويه لو كان فى عسكر ياقوت مائة رجل مثله ماقاومته فالله الله يامولاى لم تضيع نفسك وتضيعنا فقال سأنظر وأفكر"(٢).

بيد أن هذه الإجابة له ترضى مؤنساً فخرج دون أمر سيده بثلاثة آلاف جندى بقصد محاربة البريدى فى الأهواز من أجل وضع حد لأطماعه التي صارت لاتطاق وبينما مؤنس فى طريقه إذا بياقوت يبعث عدداً من رجاله للعمل على وعظه وجعله يقلع عما أقدم عليه فقد قال له بعضهم محثاً إياه على الطاعة لسيده وصاحب نعمته "ان سيدك يعنى ياقوت قبض علي ابنيه وهما تاجان ودرتان فلم يستحل أن يعصى مولاه ولايكفر نعمته وسلمهما ولم يحارب فيهما ولاطلب بهما أفأنت تعص مولات فترسل يدك عن طاعته أما تخاف العقوبة؟ وأن تخذل فى هذه الحرب ويظفر بك فتخسر الدنيا والآخرة ولاسيما وقد بذلك أن يوافيك ويساعدك علي ماتريده انتظر ريث نفوذ كتابنا وورود جوابه فأقام مؤنس لما أخذه العزل والتأنيب ووافى ياقوت في اليوم الثانى واجتمع مع غلمانه"(٣).

---

(١) يتناول البحث المزيد من المعلومات عن هذه الشخصية للعلاقات التى بينها وبين آل البريدى ومايعنينا هنا ذكر أنه قتل بالموصل سنه ثلاثين وثلثمائه وقيل أن بنى حمدان هم الذين أزهقوا روحه.
ابن خلكان "وفيات الأعيان" ج ٥ ص ١١٨ .

(٢) ابن مسكويه "تجارب الأمم" ج١ ص ٣٤٢، ص ٣٤٣ .
ابن خلدون "التاريخ" ج ٦ ص ٨٣٤ .

(٣) ابن مسكويه "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٤٣ ، ص ٣٣٤.
محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى"ص٣٠١، ص٣٠٢.

مما تقدم نرى أن ياقوتاً قد فوت على نفسه فرصة كبيرة كادت تحقق بها مباغتة مؤنس للبريديين قبل أن يبادروا إلى إحكام استعداداتهم للإجهاز على ياقوت وأتباعه وإن خوفه انهزام مؤنس وأتباعه من البريدى للتفاوت العددى بين القوتين لصالح الأخير لامحل له لأن الذى حفز الجند الياقوتية على الإنضمام لعبد الله البريدى هو ضعف ياقوت عن مواجهة الأمور بسرعة وكبح جماح كاتبه عبد الله البريدى قبل اشتداد ساعده الأمر الذى أطمع الجند فيه وجعلهم لايبالون بتركه واستبدال زعامة عبد الله البريدى به.

ومهما يكن من أمر فإن عبد الله البريدي استمر فى سياسته التى أقامها على دعامتين أولهما الاستمرار فى مداراة ياقوت وخداعه وثانيهما المضي قدماً فى استعداداته الحربية لمنازلة ياقوت فى ميدان الحرب إذا ماألجأته الظروف إلى ذلك .

ونرى الدعامة الأولى لهذه السياسة جلية فى هذه السفارة التى قام بها القاضى أبو القاسم التنوخى(١) مبعوث عبد الله البريدى إلى ياقوت من أجل إقامة مصاهرة بين الرجلين حيث يتزوج ابن الأول من ابنة الثانى وقد أحسن القاضى التنوخى القيام بمهمته فعقد المصاهرة(٢).

---

(١) على بن محمد بن أبى الفهم يصل نسبه إلى عمر وبين الحرث وهو أحد ملوك تنوخ الأقدمين، ولد بأنطاكيه سنه ثامن وسبعين ومائتين هـ ولى قضاء الأهواز والبصرة، ويضرب به المثل فى الزكاء، حافظاً للحديث، كان عالماً بأصول المعتزلة والنجوم، له ديوان من الشعر توفى سنة اثنتان وأربعون وثلثمائه هـ .

ابن خلكان "وفيات الأعيان" ج ٣ ص ٣٦٦ ، ص ٣٦٩ .

ابن كثير "البداية والنهاية" ج١١ ص ٢٢٧ .

ابن العماد الحنبلى "شذرات اذهب" ج٢ ص ٣٦٢ ، ص ٣٦٣ .

(٢) ابن مسكوية "تجارب الأمم" ج١ ص ٣٤٥ .

بيد أن هذه المصاهرة لم تنطل حيلتها على الرجال المقربين إلى ياقوت فإن المظفر ولده حين عاد إلى أبيه بعد إطلاق الخليفة سراحه ذكر له حلولاً تخرجه مما هو فيه شدة فعرض عليه "الخروج الى حضرة السلطان ليشكره على إنفاذه ويقيم بدير العاقول[١] ويستأذنه فى الدخول فإن أذن له فقد تم له مايحب ووجد الحجرية مسرعين إليه وإن لم يأذن له تقلد الموصل وديار ربيعة وخرج إليها وان منع من ذلك جعل مقصده الشام، فخالف ياقوت ابنه ولم يرتض رأيه وقال : أنا أتأمل ماذكرته فاقم عندى لنتشاور فاستعفاه من ذلك وسأله أن يأذن له فى المقام بعسكر مكرم فأذن له"[٢]

أما الدعامة الثانية لهذه السياسة فنجدها فى ترحيب عبد الله البريدى بالمظفر بن ياقوت عندما طلب الإنظمام إليه وحشده الجيوش لملاقاة سيده .

وعلى كل حال فإن ياقوتاً حين تلقى كتاباً من عبد الله البريدى فيه أن الخليفة يأمره بمغادرة تستر فى عشرة من رجاله وأنه موكل من الخلافة لتنفيذ ذلك، أيقن أنه لامناص من منازلة البريدى فى عيدان الحرب فسار فى ثمانمائة من جنده الذين بقوا معه بتستر ودارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس كادت تدور فيها الدائرة على البريديين على الرغم من تفوقهم فى العدد والعتاد لولا أن كميناً باغت إليها قوتين كان عبد الله البريدى قد أعده قبل نشوب المعركة فمزقهم شر ممزق ونزل ياقوت من على دابته وأمعن فى الإستخفاء عن أعين البريديين وتظاهر بأنه سائل يطلب العطاء فارتاب فـــى أمره أحـــد البربر فأجهز عليه حين وقف على شخصيتـــه

---

(١) موضع تاريخى فى شمال البصرة كان يقع علي دجلة حتى انحسر الماء عن هذا الموقع فأصبح في وسط بريه بعيداً عن ضفة النهر.
أحمد عطية الله "القاموس الإسلامى" ج٢ ص ٤١٨ ، ص ٤١٩ .

(٢) محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣٠٢ .

ويعثوا برأسه إلى البريدى الذى أمر بإعادتها إلى الجسد ودفنه فى المكان الذى قتل فيه[١].

من هذا نرى أن البريدى استطاع التخلص من عقبة كبيرة كانت تقف فى سبيل تحقيق أطماعه وأن الثقة بالأخرين كانت من الندرة فى هذا العصر بحيث يعد منحها لشخصية من الشخصيات بمثابة سلاح بتار يعطيه الإنسان لغيره حتى يجهز به عليه على غرار مافعله عبد الله البريدى بسيده ياقوت وقد امتلأ العصر العباسى الثانى بنظائره كثيرة من هذه المواقف التى لاتدل إلا على الضعف المستشرى فى الخلافة والتنافس المهلك بين الرجال الطامعين فى السلطة وصار على عبد الله البريدى مواجهة منافس آخر أنكى وأشد من سيده ياقوت إنه محمد بن رائق.

استدعى الخليفة الراضى بن رائق إلى الحضرة فى ظل ظروف بالغة الصعوبة على الدولة ومن ثم فإن محمداً حين لبى نداء أمير المؤمنين ووصل الى بغداد غدا صاحب الحول والطول بها .

ومن البديهى أن يحاول محمد بن رائق بسط سلطاته على عمال الدولة فى المناطق التابعة لها وخاطة عبد الله البريدى الذى غدا بعد قتل ياقوت حاكماً للأهواز دون منازع[٢] .

ومما لاشك فيه أن ابن رائق كان على علم بأطماع البريدى ومحاولته الوصول الى أرفع المناصب وآية ذلك أن ابن رائق استعد لتأديب عبد الله البريدى فى الأهواز فكتب إليه كتاباً حذره فيه من عدم إرساله الأموال المخصصة للخلافة وبين له أنه لايمكنه غض الطرف عن استبداده بالأموال واستغلالها لصالحه واستمراره فى

---

(١) ابن مسكوية "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٤٧ ، ص ٣٤٨ .
ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص ٣٢٠ ، ص ٣٢١ .
ابن خلدون "التاريخ" ج ٦ ص ٨٣٥ ، ص ٨٣٦ .

(٢) ابن كثير "البداية والنهاية" ج ١١ ص ١٨٤ .

سياسة إفساد الجيوش وتزين العصيان لهم الى غير ذلك من ذكر معايبه ثم بين ابن رائق للبريدى أنه إن نهج سياسة معتدلة راعى فيها حقوق الدولة عليه أقر على عمله، وإن أبى إلا الإستبداد بالأهواز قوبل بما استحقه.

على الرغم من شدة لهجة الرسالة المذكورة فإن البريدى لم يتأثر بها وسلك مع ابن رائق نفس الدرب الذى سلكه مع ياقوت وأظهر الطاعه للدولة وأبطن غير ذلك فأشخص رسولاً من عنده إلى ابن رائق يعلمه أن البريدى يود تجديد ضمان الأهواز له على أن يدفع مشاهرة مبلغاً للخلافة يصل فى العام إلى ثلثمائة وستين ألف دينار وأنه على استعداد لشد أزر الدولة فى محاربتها لعلى بن بويه بضم جيوشه الى جيوش الخلافة وطلب من ابن رائق ارسال من يتسلم منه الجيوش(١).

أحدثت إجابة البريدى على ابن رائق انقساماً بين مستشاريه فقد رأى الحسين بن على النوبختى معاجلته بإرسال الجند إليه لإزالته عن الأهواز حيث إن جانبه لايؤمن لما عرف عنه من خداع واستبداد، بينما ذكر أبو بكر بن مقاتل ماينافى ذلك فقال الرأى قبول مابذله البريدى لأن أحدا لايستطيع القيام بضمان الأهواز بمثل المال الذى ألزم به البريدى نفسه .

---

(١) ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص ٣٢٩ ، ص ٣٣٠ .
ابن كثير "البداية والنهاية" ج١١ ص ١٨٧ .
النويرى "نهاية الأرب" ج٢٣ ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ .
محمد حلمى محمد أحمد "الخلافة والدولة فى العصر العباسى" ص١٢٨ ط٢ مكتبة الشباب سنة ١٩٧٢م .

أخذا بن رائق بالرأى الأخير فأنفذ جعفراً بن ورقاء[١] لاصطحاب الجنود إلى الأهواز لقتال على بن بويه وظل يرقب وصول الأموال الى الحضرة بيد أن البريدى لم يبعث اليه بدينار واحد ولم يمد جعفراً بجندى واحد فأوعز البريدى إلى جيوشه بالأهواز القيام بثورة على مبعوث بن رائق الذى لجأ إلى عبد الله البريدى ليبذل الجهود من أجل إخراج الجيش معه فقال له. ليس العجب ممن أرسلك وإنما العجب منك كيف جئت بغير شيء، فلو أن الجيش مماليك لما ساروا إلا بمال ترضيهم به، ثم أخرجه ليلاً وقال : أنج بنفسك فسار إلى بغداد يجر ذيول إخفاقه"[٢].

أكدت هذه النتيجة التى عاد بها ابن ورقاء الى بغداد صدق رأى النويختى فى البريدى بيد أن أبا بكر بن مقاتل أراد ألا يترك منافسة ينعم بثقة أمير الأمراء "ابن رائق" فطفق يعمل جاهداً من أجل زحزحة النويختى عن الوزارة وتهيئة الأجواء للبريدى فأشار أبو بكر على بن رائق باستكتابه للبريدى حيث إن ذلك يؤدى إلى توحيد كلمة الخلافة فى وجه البويهيين فقال له : أيها الأمير لك فى ذلك جمال عظيم لأنه اليوم كالنظير لك فإذا تواضع وصار تابعاً جاز

---

(١) الشيبانى كان من بيت أمره، وتقدم وآداب، ولد بسامرا سنه اثنتين وتسعين ومائتين، كان المقتدر يجريه مجري بن حمدان، تقلد عدة ولايات كان شاعراً كاتب جيد البديهة والروية، توفى فى شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائه هـ .
محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى "فوات الوفيات" ج١ ص ٢٠٥ ، مطبعة السعادة بدون تاريخ ورقم طبعة .

(٢) مسكوية "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٥٩ ،
النويرى "نهاية الأرب" ج ٢٣ ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ .
ابن خلدون "التاريخ" ج٦ ص ٨٤١ ، ٨٤٢ .

حكمك عليه وسيقال لك إن البريدى غرر بالسلطان وبياقوت فكيف تثق به؟ بالجواب عن هذا إنه ليس بجمعكما أرض فتتم حيلته عليك كما تمت على ياقوت وأنت غير قادر عليه إلا بحرب وقد يجوز أن تظفر به لو يظهر هو فإذا كنا قد انتهينا إلى هذه الحال معه فحطه من الإماره الى الكتابه وتصييره تابعاً ثم جذب رجاله وجيشه بالخدعة أو انقاذه مع بجكم ليفتح لنا فارس وأصبهان أولى من دفعه عما سأل وإيحاشه فيحتاط لنفسه ويخبب الرجال وقد حمل إلى الأمير مع هذا ثلاثين ألف دينار هى فى منزلى فقال له بن رائق: ماكنت لاصرف الحسين بن على مع نصحه لى وتبركى به ولو فتح لى فارس وأصبهان وساقهما الى خصوصاً وأهداهما لى دون غيرى قال: أيها الأمير فان كرهت هذا فضمنه واسطاً والبصرة"(١)

لم يأخذ بن رائق برأى بن مقاتل بالرغم من العلل التى أبرزها له لتظهر الرأى الذى أبداه وكأنه رأى خالص من كل ريبه ربما تداخل ابن رائق فى قول بن مقاتل له بعد هذا الإخفاق الذريع الذى ناله من جراء أخذه برأيه فى البريدى وغض الطرف عن رأى النوبختى فيه فعرض مقولة أبى بكر على أبى عبد الله الحسين بن على النوبختى الذى أبدى معارضة شديده لها فقال لأبن مقاتل معرضاً به ومظهراً خداعة لأميره "ماقضيت حق هذا الأمير ولاتصحته" ثم قال لابن رائق "أنا عليل أيها الأمير فإن عشت وأنا معك فهيهات أن يتم عليك وإن مضى فى حكم الله فنشدنك الله أن تأنسى بالبريدى أو تسكن إليه بشىء من أصناف حيله فدمعت عين بن رائق وقال : بل يحييك الله"(٢) .

لم ييأس بن مقاتل فى جعل بن رائق يأخذ برأيه فلجأ إلى المداراة والمخادعة فأعلن الأمير أن أبا عبد الله الحسين بن على

---

(١) مسكوية "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٦٠ ، ص ٣٦١ .
(٢) مسكوية "تجارب الإمم" ص ٣٦١ .

النوبختى اشتد به المرضى حتى أن الأطباء أيسوا من شفائه وأن الخير للدولة أن يسيرها وزيراً لا نائباً عنه وأشار بن مقاتل على بن رائق سؤال على بن أحمد نائب النوبختى فى الوزارة فإنه بن أخيه وثقته ولامراء فى علمه عن حقيقة الأمر أكثر من غيره فسأله أمير الأمراء عن مرض النوبختى فأجابه بصدق ماقال بن مقاتل عن مرض عمه طمعاً فى تحقيق مامناه به بن مقاتل من تقليده الوزارة عوضاً عن عمه إن أيأس الأمير من شفائه(١) .

صار بن رائق بعد تحققه من مرض النوبختى مهيئاً للأخذ برأى بن مقاتل فوافق على الكتابة للبريدى ليرسل من يثوب عنه فى تسيير أمور الوزارة عوضاً عن النوبختى فبعث بأبى عبد الله أحمد بن على الكوفى إلى الحضرة(٢).

وبهذا يكون بن مقاتل قد حقق الأمر الذى كان يسعى إليه فى التمكين للبريدى بالحضرة فقد صار عبد الله البريدى وزيراً بها وحتى يجنى بن مقاتل ثمرة سعيه كتب إلى البريدى بالأهواز كتاباً عدد له فيه ماأسداه إليه من آياد كانت هى السبب المباشر فى تقليد بن رائق له أمر الوزارة فأجابه البريدى على كتابه وبعث إليه بالمال الذى كان قد أعطاه إلى بن رائق(٣) من أجل إزالة الضغائن بين الرجلين إثر الخديعة التى خدع بها بن رائق لما امتنع من إرسال الجيوش والأموال اليه كما أسلفت.

لم ينعم الرجلان طويلاً بصفو سماء العلاقات بينهما حيث عادت ملبدة بالغيوم بعد شهر مضى على تقليد بن رائق البريدى الوزارة(٤) .

---

(١) ابن الأثير "الكامل" ج٨ ص ٣٣١ ، ص ٣٣٢ .
(٢) النويرى "نهاية الأرب" ج٢ ص ١٣٨ .
ابن خلدون "التاريخ" ج٦ ص ٨٤٣ .
(٣) مسكوية "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٦٣ .
(٤) مسكوية "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٦٣ .

ويعزى هذا إلى أن مصلحة الرجلين متعارضة حيث إن كلا منهما يضع نصب عينيه تدعيم مركزه فابن رائق يرى أنه أمير الأمراء ولابد والحالة هذه من خضوع عمال الأقاليم لطاعته ومنهم عبد الله البريدى والبريديون يرون أنهم بما توفر لهم من إمكانات لايقلون شأنا عن أبن رائق وغيره من ثم لايريدون الخضوع له فراحوا يعملون على إفساد الأمور عليه وآية ذلك أن أبا بكر بن مقاتل حين حدث بن رائق فى جعل أبى يوسف البريدى واعلى خراج البصرة وواسط أجابه بما يفيد فقدان الثقة بآل البريدى فقال له "لاأفعل ولاأثق بهما قال له : ولم أيها الأمير ؟ أما واسط فأنا مدبرها وليس يرد لهم إليها ولاراجل وعلى توفية مالها .

وأما البصرة فقد قدرت أمرها على أربعة آلاف ألف درهم على أن يقيم لى بها ضمناء ثقات"(١) .

ومهما يكن من أمر فإن بن مقاتل ظل بابن رائق حتى استصدر منه أمراً بضمان البصرة وواسط لأبى يوسف البريدى الذى كان على علم بما يعانى منه أهل البصرة من ظلم محمد بن يزداد والى الحرب بها(٢) فأراد اهتبال هذه الفرصة لصالحه وتحويل غضبهم على واليهم أسلحة يقضى بها على وجود بن رائق .

فى البصرة من خلال وإليه على الحرب محمد بن يزداد وأية ذلك أن أبا يوسف البريدى لما وصل إلى البصرة قال لجموع أهلها الذين وفدوا إليه لتهنئته بسوقها "قد أزلت عنكم ياأهل البصرة الشرطة والمآصير والشرك وتحملت ذلك من مالى وسيبلغ بن رائق فعلى بكم فيعادينى وماأبالى ولو عادانى إخوانى فى صلاحكم وإنى لأرجو المغفرة بإزالة الرسوم الحائرة عنكم وإن عزم بن رائق على رد ذلك فأين السواعد القوية والأكف التى حاربت على بن أبى

---

(١) مسكوية "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(٢) ابن خلدون "التاريخ" ج ٦ ص ٨٤٣ .

طالب عليه السلام ومافكرت فى مكاشفته فمتى رام بن رائق ذلك فاضربوا واجهه بالسيف وأنا من ورائكم .

ياأهل البصرة لقد فشلتم أين يومكم مع بن الأشعث؟ أين يومكم مع إبراهيم ومحمد ابنى عبد الله بن حسن بن حسن متى أخذكم ضيم فصبرتم ثم هذا عسكرى سائر معكم فلتكن آمالكم ممتدة وقولبكم قوية"[١].

والذى يدلنا على أن ماقاله أبو يوسف للبصريين قد أعد له سلفاً مع أخيه عبد الله البريدى هذه الجيوش التي سيرها من الأهواز وجعل عليها غلامه إقبالاً وأمرها بالبقاء بحصن مهدى ريثما تأتيهم أوامره فلما بعث محمد بن يزداد والى البصرة لابن رائق بما فعله البريديون فى بلده حاول أبو بكر بن مقاتل الحيلولة دون نشوب معركة بين الفريقين فاستطاع اقناع الأمير يجعل أحمد بن على الكوفى نائب البريدى فى بغداد يكتب إليه يحثه على سحب الجيوش من حصن مهدى وعدم التعرض للبصرة فأجاب البريدى بأنه مابعث بالجيوش إلا للحفاظ عليها من القرامطة لما أبدى، وإليها عجزاً فى الوقوف فى الدفاع عنها أمام هذا الخطر الذى يتهددها.

وبهذا تكون الأحوال قد ازدادت سوءا بين الرجلين بعد أن استولى البريديون على البصرة وطردوا منها عامل بن رائق وصار لهم حكمها مع الأهواز وواسط التى كان يحكمها بن رائق وفارس فى يد علي بن بويه وتضاءل أمر الخلافة حتى صارت لاتحكم إلا فى بغداد ومايجاورها من مناطق صغيرة[٢].

---

(١) محمد بن عبد الملك الهمذانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣٠٦ .

(٢) ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص ٣٣٢ .
النويرى "نهاية الأرب" ج٢٣ ص ١٣٩ .
ابن خلدون "التاريخ" ج٦ ص ٨٤٣ .

لم يكن الصراع الذى يدور بين بن رائق والبريدى خفيا على الجند الذين كان ولاؤهم مرتبطاً بالمال الذى يدفع إليهم دون أى شىء آخر فحين أسقط بن رائق أرزاق المئات من الجند الحجرية تركوا الحضرة ولاذوا بالأهواز حيث يقيم عبد الله البريدى فأحسن استقبالهم وأظهر أمامهم لوم بن رائق على فعله معهم وعبثاً حاول بن رائق تدارك ماوقع فيه من خطأ فبعث للبريدى يطلب منه رد هذه الفئة فأجابه بقوله إنى خفتهم فقبلتهم وجعل منهم ذريعة يتعلل بها فى عدم إرسال الأموال إليه(١).

وجد بن رائق أنه لاسبيل إلى إعادة هيبته لدى البريديين إلا بدخول معركة معهم يضع بها حداً لأطماعهم التى تزداد يوماً بعد آخر فاستدعى إليه بدر الخرشنى وبجكم فخلع عليهما وطلب منهما النهوض بالجيوش لمحاربة عبد الله البريدى فى البصرة والأهواز ووضع لهم خطة حربية تهدف إلى وضع البريديين بين شقى رحى فتحاربهم جيوش الخلافة من ناحية البصرة والأهواز فى وقت واحد بيد أن بجكما أراد التفرد بإحراز النصر على البريديين فأسرع السير برجاله حتى التقى بجيوش مناوئيه عند السوس(٢) وكانوا عشرة آلاف جندى فى الوقت الذى كان جند بجكم ثلاثمائة لاغير، ومع هذا البون الشاسع فى العدد بين المعسكرين إلا أن الدائرة دارت على البريديين فغدوا بين قتيل أو أسير أو فار وعاد أبو جعفر الجمال إلى

---

(١) ابن كثير "البداية والنهاية" ج ١١ ص ١٨٧ .
الذهبى "العبر" ج٢ ص ٢٤ ، دول الإسلام ج١ ص ١٩٩ .
ابن خلدون "التاريخ" ج٦ ص ٨٤٣ .

(٢) بلدة تاريخية بإقليم الأهواز، تقع على نهر الكرخة فى الشمال الغربى من عاصمة الإقليم (سوق الأهواز) وتبعد ١٥من ززفول
أحمد عطية الله "القاموس الإسلامى" ج ٣ ص ٥٦٥ .
عبد السلام الترمانينى "أزمنة التاريخ الإسلامى" ج ٣ ص ١٠٥٥ .

عبد الله يجر ذيول إخفاقه فى معركة البريديين مع الرائقية، ولما حاول عبد الله تحميل قائده مسئولية الهزيمة(١) قال له "أنت ظننت أنك تحارب ياقوتاً المدير وجيشه المدابير قد والله جاءك من لت بجكم والأتراك خلاف ماعهدت من سودان باب عمان والمولدين فقال إليه فلكمه بيده ثم قال له: قد انفذت أبا الخليل الديلمى ومن معى من العجم ومن كان يخلف بالأهواز فى ثلاثة آلف رجل تستر فانفذ الساعة مع من صحبك إليها حتى تجتمع معهم وتعاود الحرب فقال : أفعل وسنعود إليك هذه الكره بأخذى من الكرة الأولى لأن هيبة بجكم قد تمكنت فى نفوس أهل العسكر"(٢).

ازدادت الأمور سوءا على قوات عبد الله البريدى فقد هزمت بعد ذلك فى أكثر من معركة درات بينها وبين قوات بن رائق أضطر معها البريديون إلى الفرار بأنفسهم فاستقلوا ثلاثة سفن وكادوا يغرقون لولا أن عددا من الغواصين استطاعوا انقاذهم واستولى بجكم على الأهواز وأراد عبد الله البريدى الإحتفاظ بما بقى فى يديه من الأملاك فبعث بمدد إلى قواته المعسكره فى الجامدة فألحقت هزيمة بجنود ابن رائق وأسرت غلاماً له يدعى برغوثاً فمن عليه عبد الله وأطلق سراحه وفعل مثل ذلك مع أبى العياش أحمد بن خاقان الذى كان قد بعثه بن رائق إلى المزار(٣) مع بدر الحرشنى لقتال

(١) ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص ٣٣٥ .
النويرى "نهاية الأرب" ج٢٣ ص ١٤٠ ، ص ١٤١ .
(٢) مسكوية "تجارب الأمم" ج١ ص٣٧١ .
(٣) بالفتح وآخره راء، بلدة فى ميسان بين واسط والبصرة، بينها وبين البصرة نحو أربعة أيام، فتحها عتبه بن غزوان أيام عمر بن الخطاب.
ابن عبد الحق "مراصد الإطلاع" ج٣ ص١٢٤٧ .
عبد السلام الترياناينى "أزمنة التاريخ الإسلامى" م٣ و ٤ ص١٠٨٢.

البريديين فى البصرة[١] فلحقت بهما هزيمة منكرة بسبب سوء سياسة بن رائق الذى أقسم لوجهاء البصرة - الذين حضروا اليها بكتاب من البريدى يستعطفه فيه - إنه إن ظفر بمصرهم ليحرقنه بمن فيه فأيقن أهل البصرة بأنه لامناص من الصمود مع البريديين فى ميدان الحرب فكانوا السبب المباشر فى هزيمة الرائقية عند البصرة وبقاء شمس البريديين مشرقة بها[٢] بالرغم من كون بن رائق قد حضر بنفسه مع بجكم وبدر لقتال أهل المصر[٣].

وجد البريديون أنه لاخلاص لهم من صراعهم مع بن رائق إلا بالتحالف مع ألد أعدائه البويهيين فرحل عبد الله البريد من ملجئه بجزيرة أوال[٤] الى على بن بويه بفارس عارضاً عليه مد يد العون من أجل دحر بن رائق والاستيلاء على العراق حتى يكون صاحب الحول والطول بها .

راق لعماد الدولة بن بويه قبول تحالف البريديين معه فأزمع على تجهيز أخاه معز الدولة لقتال قوات بن رائق بالأهواز وطردهم عنها حيث كان بجكم قد استطاع الاستيلاء عليها من البريديين إثر صراعهم مع الجند الرائقيـــة[٥] .

---

(١) محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص . ٣١ .

(٢) ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص ٣٣٥ . ٣٣٦ ، الذهبى "العبر" ج٢ص ٢٤.
ابن العماد الحنبلى "شذرات الذهب" ج٢ ص ٣٠٦ .

(٣) النويرى "نهاية الأرب" ج٢٣ ص ١٤١ .
ابن خلدون "التاريخ" ج٦ ص ٨٤٥ .

(٤) يالضم ويروى بالفتح : جزيرة بناحية البحيرة بها نخل وبساتين ابن عبد الحق "مراصد الإطلاع" ج١ ص ١٢٨ .

(٥) ابن الأثير "الكامل" ج٨ ص ٣٣٦ ، ص ٣٣٧ .
الذهبى "العبر" ج٢ ص ٢٤ .

ويلوح لنا أن على بين بويه لم يغب عنه ماجبل عليه أبو عبد الله البريدى من الخداع والحيل فشرط عليه إبقاء ولديه رهينه لديه بفارس حتي يشخص معه معز الدولة وقواته فنزل البريدى على رأى عماد الدولة واستبقى ولديه أبا الحسن محمدا وأبا جعفر الفياض .

سار الرجلان من فارس إلى أرجان ودار بينهما وبجكم معركة حامية استمرت ثلاثة أيام فر بعدها برجاله إلى الأهواز فلاحقه البريدى ومعز الدولة فيها ودارت على أرضها معركة استمرت ثلاثة عشرة يوماً كان الظفر فيها لعبد الله البريدى ومعز الدولة فلاذ بجكم بتستر ومنها بعث بخبر هزيمته لأميره بن رائق الذى كان بواسط وطلب منه مالا فلما لم يبعث له تقهقر بجكم إلى واسط .

ويعزو المؤرخون هزيمة قوات بجكم من البويهيين إلى أن الأمطار الغزيرة حالت بين الأتراك وبين استطاعتهم رمى البويهيين بالنشاب(١) .

وعلى الرغم من هذا الإجماع الذى كاد ينعقد من قبل المؤرخين على هذا السبب فإنى لاأجد فى نفس ميلاً للأخذ به حيث إن الأمطار التى سقطت لاينحصر أثرها على فئة دون أخرى من فئات المتحاربين وإنما الذى أكاد أرجحه فى سبب هذه الهزيمة التي لحقت بجكم هو أن الإنقسام الذى أخذ يعرف طريقه بين الجند كان إحد عوامل الضعف ناهيك عن كون هيبة القادة قد ضاعت بينهم .

وأية ذلك تشجيع البعض لبجكم أن يقبض على أميره بن رائق حين أوى إليه بالأهواز قبل قدوم معز الدولة إليها مع البريديين فأبى بجكم هذا فى الوقت الذى كانت فيه جند عماد الدولة قبل دخولهم المعركة فى معنويات رفيعة(٢) .

---

(١) مسكوية "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٧٨ .
ابن خلدون "التاريخ" ج ٦ ص ٨٤٥ .

(٢) محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣١١.

لم يدم الوفاق طويلاً بين البريديين والبويهيين بعد استيلائهم على الأهواز ذلك أن موقف البريدى من ياقوت لم يغب عن كليهما ومن ثم فإن الثقة بينهما أخذت تتزعزع يوماً بعد آخر وظنا أن كل واحد منهما يتربص بأخيه ويعد له فى الباطن حتى يصفو له الجو بالأهواز دون حليفة يدل لهذا أن معز الدولة لما طلب من البريدى إرسال عسكره الذين بالبصرة ليسيروا إلى أخيه ركن الدولة بأصبهان(١) معونة له على حرب وشمكير، فأحضر منهم أربعة آلاف وعندما حضروا قال لمعز الدولة إن أقاموا وقع بينهم وبين الديلم فتنه والرأى أن يسيروا إلى السوس ثم إلى أصبهان فأذن له فى ذلك ثم طالبه بأن يحضر عسكره الذين بحصن مهدى ليسيرهم فى الماء إلى واسط فخاف البريدى أن يعمل به مثل ماعمل هو بياقوت(٢) .

لذا فإنه سارع بالهروب من الأهواز إلى الباسيان(٣) وكتب إلى جنده الذين وصلو إلى السوس بالعودة إلى البصرة .

لم يكتب البريدى بهذا بل إنه بعث لمعز الدولة أبا القاسم التنوخى برسالة يطلب منه فيها ترك الأهواز للبريديين حتى يتمكن عبد الله البريدى من الوفاء بما التزم به مع عماد الدولة علي بن بويه من إرسال مبلغ ثمانية عشر آلاف درهم سنوياً بصفته ضامناً للأهواز فوافق معز الدولة على ترك المدنية للبريديين حتى لايتهم من أخيـــه

---

(١) بفتح الهمزه على المشهور بلدة تاريخية قديمة تقع على نهر زنده، وهى الآن مقاطعة إيرانية تقع فى الغرب بين العراق ويزد وكاشان .
ابن عبد الحق . مراصد الإطلاع "ج ١ ص ٨٧ .
أحمد عطية الله "القاموس الإسلامى" ج١ ص ١٢٤ .

(٢) ابن الأثير "الكامل" ج٨ ص ٣٤٢ .

(٣) بكسر السين وباء وألف ونون بلدة قديمة بخوزستان كبيرة يشقها نهر .
ابن عبد الحق "مراصد الإطلاع" ج١ ص١٥٣ .

بتضييق مصادر الأموال إليه فسار منها إلى عسكر مكرم بيد أن البريدى كشف له عن حقيقة موقفه منه فأرسل إليه معز الدولة رسالة قال له فيها أنه لايأمن على نفسه بالأهواز ولايفصله عنه إلا ثمانية فراسخ وطالبه بالرحيل مع رجاله إلى السوس وجند يسابور[١] فلما عرض معز الدولة الأمر على مستشاريه خوفوه غائلة الأخذ بهذا الرأى[٢] وقالوا له "قد سلك البريدى معك طرقه مع ياقوت وأخذ يبعدك إلى السوس ويضايقك حتى يفل الرجال عنك ثم يأخذ المعابر إلى نفسه وبين الأهواز وبين عسكر مكرم وتستر وبين السوس دجلة ويحتال فى تحصيلك إن استوى له فاقشعر الأمير أبو الحسين من ذلك وامتنع أن يخرج من عسكر مكرم وقال : هى على سمت الطريق إلى فارس .

ولست أبعد عن الأمير الكبير هذا البعد حتى يقطع بينى وبينه دجلة أولا ثم المسرقان[٣] .

وأرسل من فوره إلى أخيه عماد الدولة فأمده بالأموال والرجال فاسترد معز الدولة السوس من بجكم وأجلى البريدى عن بنات أدر

---

(١) بضم أوله وتسكين ثانية وفتح الدال وياء ساكنة وسين مهملة وألف وباء موحده مضمومة وواو ساكنة وراء، مدينة تاريخية تقع بالعراق العجمى وهو الإقليم الإيرانى الذى يجاور العراق .

ابن عبد الحق "مراصد الإطلاع" ج١ ص ٣٥١ .

أحمد عطية الله "القاموس الإسلامى" ج١ ص ٦٤٠ .

(٢) محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣١٢

النويرى "نهاية الأرب" ج ٢٣ ص ١٤٣ ، ص ١٤٤ .

ابن خلدون "التاريخ" ج ٦ ص ٨٤٦ .

ابراهيم زكى خورشيد وآخران "دائرة المعارف الإسلامية" م٧ ص ١٩٠ ط دار الشعب .

(٣) مسكوية "تجارب الأمم" ج١ ص ٣٨٢ .

التى يحكم منها أسافل الأهواز ولم يبق بيده إلا البصرة وبهذا يكون البريدى قد جنى إلى حد ما بعض الثمار التى كان يرجوها من تحالفه مع البويهيين فحجم بن رائق ببغداد وبجكم فى واسط إلا أنه أخفق فى استرداد الأهواز التى أخرجته منها قوات بن رائق وكانت سبب لجوئه إلى البويهيين(١).

أخذ عبد الله البريدى يجود ببصره يمنة ويسرة باحثاً عن وسيلة تعيد إليه الأهواز من البويهيين ولاغرو فإنها القاعدة التى انطلق منها ليحقق أطماعه مع علمه بأحوالها ومعرفته بسياسة أهلها وفوق هذا كله فإن أموالها وخيراتها تفوق المصر الذى يحكمه بعد استعانته بالبويهيين ، فاضطر عبد الله البريدى إلى العودة من جديد لابن رائق فى بغداد ونجح أبو جعفر بن شيرزاد فى السعى بينهما بالصلح وانتهى الأمر باستصدار بن رائق كتاباً من الراضى فيه عفو منه عن عبد الله البريدى مع إعطائه ضمان البصرة مقابل ثلاثين ألف دينار يسددها إلى الحضرة سنوياً(٢).

لم يرق هذا التحالف بين البريدى وبن رائق لبجكم الذى كان شاخصاً ببصره إلى بغداد يريد الإستيلاء عليها وطرد بن رائق منها ليكون أمير الأمراء فأوعز مستشاروه إليه أنه لاسبيل إلى تحقيق مأربه الذى يتمناه إلا إذا عمل على فصم عرى التحالف بين بن رائق والبريدى، فرأى بجكم أنه لن يتحقق له هذا إلا إذا صير البريديين أذلاء بعد قوة، فاشتبك معهم فى معركة حربية دارت فيها الدائرة عليهم عند البصرة(٣) . ومع هذا فقد كتب بجكم إلى عبد الله فى

---

(١) محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣١٣ .
ابن كثير "البداية والنهاية" ج١ ص ١٨٩ .
النويرى "نهاية الأرب" ج٢٣ ص ١٤٤ .

(٢) محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣١٤ .

(٣) ابن الأثير "الكامل" ج٨ ص ٣٤٤ .

اليوم التالى لهزيمته كتاباً جاء فيه "أنت بدأت بمراسلة بن رائق وتعرضت لى وهذه كرتك الثانية فإنك حملك الديلم إلى الأهواز وأعقبت ذلك بمراسلة بن رائق وبذلت له مضافرته على وقد عفوت وأنا أعاقدك وأعاهدك على أن أقلدك واسطاً إذا ملكت الحضرة"(١).

وحتى يثق البريدى فى صدق بجكم عرض عليه المصاهرة فقابل البريدى هذا بالشكر لله .

بيد أن ذلك الوفاق بينهما كان هو الآخر يقوم على المخادعة من جانب بجكم على الأقل الذى ذكر هذا فى جلاء لمحدثه - حين حمل إليه موافقة البريدى على المصاهرة والتحالف - "أنه كاذب فى جميع ماقاله وحلف عليه ولكن نقبل ذلك منه لحاجتنا الى قبوله"(٢).

أخذت الأحوال تسير فى الدولة لصالح عبد الله البريدى ذلك أن منصب الوزارة بالحضرة لما شغر بوفاة (أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات)(٣) سعى بن شيرزاد لدى الخليفة لتقليد عبد الله البريدى هذا المنصب ويقال إن الخليفة الراضى حين أنفذ الخلعة لأبى عبد الله البريدى قبلها بعد تردد(٤) .

ويلوح لنا أن الأعمال التى قام بها عبد الله البريدى مع الخليفة من قبل أساءت له لدى الشعراء وكثير من العامة حتى أن

---

(١) مسكوية "تجارب الأمم" ج ١ ص ٣٨٥ .

(٢) مسكوية "تجارب الأمم" ج١ ص ٣٨٦ .

(٣) وزر للمقتدر ثم للراضى (بالله فى آخر أيامه توفى بالرملة بعد أن لجأ إليها من فتنه بن رائق ٣٤٧ هـ .
الذهبى "العبر " ج٢ ص ٢٧ .

(٤) مسكوية "تجارب الأمم" ج١ ص ٣٠٩ .
الذهبى "العبر" ج ٢ ص ٢٧ .

بعضهم هجاه بقصيدة تبين لنا مدى تردى الأحوال فى دار الخلافة إلى حد إسناد منصب الوزارة لرجل على غرار عبد الله البريدى - فمما قاله .

ياسماء اسقطى ويا أرض ميدى [١] قد تولى الوزارة بن البريدى
حل خطب وجل أمر عضال وبداء أشاب رأس الوليد
هد ركن الإسلام وانهتك الملك ومحت آثاره فهو مودى
أخلقك [٢] بهجة الزمان كما أخلق طول الزمان وشى [٣] البرود [٤]
يالقومى لحر صدرى وعولى وغليلى وقلبى المعمود [٥]
سودت أوجه الورى وعلتهم إذ علته بذلة وهمود [٦]
كان أولى من لبسه خلع الملك بغل يسوده وقيد
فاستهلى ياعين بالدمع سحا وقليل أن تذر فى وتجودى [٧]

---

(١) ماد الشىء، يعيد أى زاغ وغار .
ابن منظور "لسان العرب" مادة ميد" ص ٤٣٠٥ .
ط دار المعارف ، طبعت فى أجزاء نصف شهرية .

(٢) بمعنى قطعت وأبليت وأخليت ، أخلق الدهر الشىء أى أبلاه
ابن منظور "لسان العرب" مادة خلق ص ١٢٤٦ .

(٣) الوشى من الثياب أى الملون بألوان عدة تزينه .
ابن منظور "لسان العرب" مادة وشى ص ٤٨٤٦ .

(٤) مفرده برد وهو ثوب فيه خطوط، وخص بعضهم به الوشى والجمع أبراد وأبرد وبرود .
أبن منظور "لسان العرب" مادة برد ص ٢٥٠ .

(٥) أى المتألم لوجع المنكسر أو المتألم لوجع أصاب فؤاده ،
ابن منظور "لسان العرب" مادة عمد ص ٣٠٩٨ .

(٦) همد يهمد همودا أى مات ، الهمدة أى السكوت على مايكره،
ابن منظور "لسان العرب" مادة همد ص ٤٦٩٦ .

(٧) محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص٣١٨، ٣١٩.

وعلى كل حال فإن البريدى حاول الاستفادة من تحالفه مع بجكم الذى ارتفع نجمه بالحضرة وصار صاحب الحول والطول بها فناوش البريدى الديالمة بالسوس وقتل قائدين منهم بها .

أثارت هذه الحادثة حفيظة أبا الحسين (معز الدولة) بالأهواز فبعث لأخيه عماد الدولة يستمده الرجال والأموال(١) ليتصدى للبريديين فاتفق عبد الله البريدى وبجكم على إدالة أعدائهما البويهيين وأتباع وشمكير على أن يقوم بجكم أمير الأمراء والخليفة الراضى بمقاتلة البويهيين فى الأهواز ويتولى عبد الله البريدى طرد وشمكير من بلاد الجبل(٢) .

وفى بجكم باتفاقه هذا فبعث إلى عبد الله البريدى بخمسمائة رجل بصحبة أبى زكريا السوس وخرج مع الخليفة لقتال البويهيين، بيد أن البريدى ظل يماطل فى خروجه من البصرة وطفق يتشوف الوسائل التى تمكنه من الحصول على دافئنه الثمينة المخبأة فى داره ببغداد فتردد أكثر من مرة بين اقتحامها فى غيبة بجكم عنها وحصوله على أمواله حتى يزداد قوة على قوة وبين إخبار بجكم بما يقصد الحصول عليه من بغداد لخشيته استيلاء أمير الأمراء على ماله فارتاب بجكم فى سبب تأخيره الى أن بعث إليه أبو زكريا السوسى بحقيقة أمر البريدى ومايفكر فيه فعاد بجكم إلى بغداد بعد أن استولى على واسط وحلت الغضاء محل الصفاء وعبثاً

(١) ابن كثير "البداية والنهاية" ج١١ ص ١٩١ .

(٢) اسم علم للبلاد المعروفة بعراق العجم وهى مابين أصبهان الى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والدى ومابين ذلك من البلاد الجلية والكور العظيمة .

ابن عبد الحق " مراصد الإطلاع" ج ١ ص ٣٠٩ .

أحمد عطية الله "القاموس الإسلامى "ج١ ص ٥٧٢ .

حاول السوسى الصلح بينهما واستبدل أبو القاسم سليمان بن الحسن بالبريدى فى منصب الوزارة وغدا عبد الله فى موقف لايحسد عليه(١).

جاد الزمان على البريدى فخلصه من عقبة بجكم حيث عاجلته المنية على يد غلام كردى وصار الخليفة المتقى - الذى تربع على عرش الخلافة بعد الراضى - فى موقف بالغ الشدة فجنود بجكم تفرقوا بعد قتله فسلة آوت إلى البريدى وهى الكثرة الكاسرة من جند بجكم وأخرى آوت إلى بغداد وشددت على الخليفة فى طلب الأموال فأعطاها الخليفة منها ماطلبوه ظناً أن هذه الفئة ستكون الحصن الحصين الذى يضع حداً لأطماع البريدى بيد أن الآمال التى علقها الخليفة عليهم غدت سرابا فتمكن البريديون من دحرهم ودخل عبد الله البريدى برفقة أخويه وأولاده إلى بغداد التى رحل عنها(٢) كبار رجالها واستتر خليفتها عن أعين عبد الله فلم يجتمع بالبريدى فيها وبعث أمير المؤمنين فى بادىء الأمر بالأطعمة والهدايا لاب عبد الله الذى شدد هو الآخر على الخليفة فى طلب المال .

وحتى لايصادف طلبه هذا إباء من الخليفة أنشأ البريدى يضرب على الوتر الحساس الذى سبقه إلى الضرب عليه أسلافه من الطامعين فى أموال الدلوة فسلبوا الخلافة هيبتها وأرهقوا الجالسين

---

(١) مسكوية "تجارب الأمم" ج ١ ص ٤١١ ، ص ٤١٣ .
محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣٢٠ ، ٣٢١
ابن الأثير "الكامل" ج٨ ص ٣٦٠ .
ابن الجوزى "المنتظم" ج٦ ص ٣٠١ ط١
"دار المعارف العثامنية" .

(٢) محمد بن عبد الملك الهمزانى "تاريخ الطبرى" ص ٣٢٧ .
ابن كثير "البداية والنهاية" ج١١ ص ١٩٩ .
النويرى "نهاية الأرب" ج ٢٣ ص ١٥٧ ، ص ١٥٨ .

فى دست الحكم من أمرهم عسراً فبعث عبد الله القاضى أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخرقى[١] وأبى العباسى الأصبهانى للخليفة المتقى ليبعث إليه المال وقال لهما ذكراه بالعواقب الوخيمة التى تترتب على عدم إجابته إلى ماطلب فما أيام المعتز والمهتدي عنه ببعيده فأرسل المتقى إلى البريدى خمسمائة ألف دينار .

بيد أن إقامة عبد الله ببغداد لم تستمر طويلاً فقد شغبت عليه طائفه الجند البجكميه وبعض طوائف الديالمة فاضطروه إلى الخروج من بغداد تاركاً الحضرة إلى الخليفة الذى عاد إليها[٢].

لما آلت إمرة الأمراء من جديد إلى بن رائق سنة ثلاثين وثلاثمائة من الهجرة لم يغب عن ذهنه ماكان بينه وبين عبد الله البريدى من أمور كان فيها النصر إلى حد كبير فى صالح البريدى وحجب بن رائق بسببها عن التأثير فى مجريات الأحداث بالدولة فشخص ببصره الى واسط حيث يقيم البريدى واهتبل فرصة تأخير المال عن الحضره فسار إليه بجيوش جرارة بقصد إذلاله واستئصال شأفة أتباعه، فلما علم بهم البريدى ترك واسط إليهم واضطر بن رائق لمصالحته من جديد وتوليته الوزارة .

---

(١) قاضى القضاة أبو الحسن ولى قضاء واسط ثم قضاء مصر ثم قضاء بغداد فى سنة ثلاثين كان قليل العلم إلى الغاية - إنما كان هو وابوه وأهله من كبار العدول - فتعجب الناس من ولايته لكنه ظهرت منه صداقة وعفة وكفاءة، توفى سنة ٣٣٤ هـ ،
الذهبى "العبر" ج ٢ ص ٤٧ .
ابن العماد الحنبلى "شذرات الذهب" ج ٢ ص ٣٣٦ .

(٢) محمد بن عبد الملك "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣٢٨؛ مسكوية "تجارب الأمم" ج٢ ص١٦.
ابن خلدون "التاريخ ج٦ ص٨٥٦، ابراهيم زكى خورشيد وآخران "دائرة المعارف الإسلامية" م٧ ص ١٩١ .

ويعزى هذا إلى أن البريدى كان فى موقف يجعل كل من يتولى إمرة الأمراء فى بغداد يبادر إلى خطب وده والى البصرة التى لها مركز الثقل فى الدولة بالنسبة لصراعها مع الديالمة وأعدائها الآخرين أو صراع القادة الطامحين الى السلطة ليس هذا فحسب، بل إن البريدى بما لديه من مال كان يرحب بالجنود الفارين من قادتهم ويقوى بهم جانبه كما فعل مع الجنود الديالمة الذين فروا من بغداد بسبب اضطهاد بن رائق لهم بقصد تخليص شوكة هذا الحزب الذى أخذ عوده يقوى يوماً بعد آخر بشكل أقلق بن رائق الذى صغر فى أعين البريديين مما حفزهم على ادالته من بغداد والإستيلاء عليها من جديد(١) .

أزمع عبد الله البريدى على تجهيز جيش جرار بقيادة أخيه (أبو الحسين البريدى) لقصد بغداد فلما علم بن رائق بذلك طفق يقوى حصونها ويستنهض العامة فيها للدفاع عنها فكثرت الفوضى وانتشر النهب والفساد وتلاشت هيبة السلطان لأن العامة كانوا قد خابروا البريدى وعرفوه - حين استولى على بغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائه. - فمنهم من لاذ إلى مناطق بعيده عن حاضرة الدولة حاملاً المال ومنهم من بادر الى حصد حنطته قبل نضوجها حتى يؤمن لنفسه القوت فإن كل إنسان ببغداد كان يخشى العواقب التى تترتب على صراع بن رائق مع البريديين(٢) .

وفى ظل هذا الجو الملبد بالغيوم وخوف العامة وذعرهم وانعدام الإخلاص بين طوائف جند الخلافة، خرج بن رائق والمتقى يوم الإثنين لخمس عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنه ثلاثين وثلاثمائه من

---

(١) مسكوية "تجارب الأمم" ج ٢ ص ٢٣ .
ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص ٣٧٩ .
ابن خلدون "التاريخ" ج ٦ ص ٨٥٩ .

(٢) النويرى "نهاية الأرب" ج ٢٣ ص ١٦٥ .
الذهبى "العبر" ج٢ ص ٤٥ .

الهجرة إلى نهر ديالى[١] تأهباً لدحر البريديين عن بغداد وبعد قتال استمر ستة أيام فى البر والنهر استطاع أبو الحسن البريدى إلحاق هزيمة منكرة بقوات الخلافة فولى المتقى وبن رائق هربا إلى واسط فى حراسة عصابة من الفرسان تناهز العشرين، وفتحت بغداد ذراعيها لتستقبل أبا الحسين البريدى الذى أطلق العنان لجنده الديالمة وغيرهم فعاثوا فيها نهباً وفساداً وألجأوا أصحاب الأموال إلى الإستتار منهم وصار كل واحد من العامة يقتل عدوه دون الرجوع إلى السلطان وندرت الأقوات وزادت المكوسات على الرعية وسلبت الدواب من أصحابها وصارت بغداد ميداناً للحرب بين القرامطة والأتراك ثم بين العامة والديالمة وهرب عمال السواد من أعمالهم لعجزهم عن الوفاء بالمال الذى طلبه منهم أبو الحسين البريدى[٢].

وقد كان ظلم البريدى لأهل بغداد مفزعاً إلى حد أن أصحاب المصادر الأصيلة للتاريخ العباسى انقسموا على أنفسهم قسمين، قسم رأى أنه لاغضاضة من ذكر قبائح البريديين فى بغداد وآخر يرى أن من النافع إغفال ذكر هذا العسف ولكل وجهة نظر دعم بها رأيه . فمن الأول ماقاله بن الأثير "إنما ذكرنا هذا الظلم ليعلم الظلمة

---

(١) بفتح أوله واما له اللام، أحد الروافد الهامة لنهر دجلة ويعرف كذلك باسم شروان رود، بعد أن يخرج النهر من المنطقة الجبلية يجرى فى اتجاه جنوبى مخترقاً السهول البابليه الى أن يصب فى المجرى الرئيس لدجلة فى جنوب بغداد وعلى مسيرة ١٢ ميلاً منها .
ابن عبد الحق "مراصد الإطلاع" ج ٢ ص ٥٤٨ .
أحمد عطية الله "القاموس الإسلامى" ج٢ ص ٤١٤ .

(٢) مسكوية "تجارب الأمم" ج٢ ص ٢٤ ص ٢٥ .
ابن خلدون "التاريخ" ج ٦ ص ٨٦٠ .

أن أخبارهم تنقل وتبقى على وجه الدهر ، فربما تركوا الظلم لهـــذا أن لم يتركوه لله سبحانه وتعالى[١] .

ومن الثانى ماذكره النويرى فى معرض تعقيبه على الرأى السالف "أظنه رحمه الله تعالى قال هذا لما علم من حال الظلمة فى عصره وأنهم يستقبحون الظلم ويتركونه خشية أن ينقل عنهم وإنما تركت أن أشرح ماقاله من ظلم البريدى خوفاً أن يسمعه ظلمة هذا العصر فيقتدون بأفعاله ويحملون الناس على مثاله، فإن فيهم من يتحلى بالظلم ولايتحاشى من فعله ويرد فرع كل مظلمة الى أصله ويقول قد فعله فلان وفلان وجرت عليه القاعدة فى كل عصر وأوان"[٢].

وعلى كل حال فإن العامة والخاصة فى بغداد قد نفذ صبرهم من ظلم البريديين فاتفق توزون التركى[٣] ونوشتكين الديلمى على التحالف ضد البريديين فى بغداد، بيد أن هذا التحالـف لم ير النـور بسبب انكشافه لأبى الحسين البريدى فولى توزون وجماعه الأتراك دبرهم إلى بغداد وآووا إلى الموصل حيث يقيم المتقى الذى استعان بمحمد بن حمدان على البريديين فدارت معارك حاميه بين البيرديين والحمدانيين بسبب ذلك رجحت فى أولها كفة البريديين ثم انقلبت الموازين فيها لصالح الحمدانيين والخليفة وعادت بغداد مقراً للخليفـة بعد نفـى إجبارى عنهــا استغرق زهاء ثلاثة أشهر وتقهقـر

(١) الكامل ج ٨ ص ٣٨٢ .

(٢) نهاية الأرب ج ٢٣ ص ١٦٥ .

(٣) توفى فى المحرم سنه أربعة وثلاثين وثلاثمائه أثناء الصراعات التى امتلأت بها بغداد من أجل سيطرة فئة دون أخرى على السلطة فيها. الذهبى "العبر" ج٢ ص ٤٥ .

البريديون الى واسط بعد أن جرعوا الناس ببغداد كئوس الذل والهوان وألجأوا الخليفة إلى الإستعانة ببنى حمدان[(١)] .

لم تكن عودة الخلافة إلى بغداد كفيلة باستقرار الأمور فى الدولة، فقد ظل البريديون عاملاً مؤرقاً للخلافة ولأمير الأمراء ببغداد ذلك أن توزون الذى تولى إمره الأمراء لم يستطع الرد على البريدى بالرفض حين طلب منه ضمان واسط بل قال له "إن عسكرى عسكر بجكم الذين جريت، وإذا استقرت الأمور تكملنا فى الضمان"[(٢)] .

كان رد توزون هذا آيه فى السياسة والحنكة فإنه لم يشأ استعداء البريدى عليه حتى لايتحالف مع الحمدانيين لطرده من بغداد هذه ناحية ومن ناحية أخرى فإن الأمور بالحضرة لم تكن استقرت بعد حتى يستطيع توزون إدراك النتائج التى تترتب على منح البريديين ضمان واسط من جديد .

ومما يدلنا على أن البريديين كانوا من أهم عوامل زعزعة الإستقرار فى بغداد أن بن شيرذاد حين آوى إلى توزون - فارا من البريديين قبل تجديد ضمان واسط لهم - فرح به وفوض إليه كافة الأمور ببغداد فأرهق الرعيه من أمرهم عسراً بالظلم الذى صبهم عليهم وتضاءلت معه شخصية الخليفة المتقى الذى قال الوشاة له "قد رأيت مافعل البريدى معك بالأمس، أخذ منك خمسمائة ألف دينار وأخرجت على الأجناد مثلها، وقد ضمنك البريدى من توزون بخمسمائة ألف دينار أخرى رغم أنها فى يدك من تركة بجكم، وبن

(١) المسعودى "مروج الذهب" ج ٤ ص ٣٤٠ .
ط ٥ دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٣ هـ .
محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة الطبرى" ص ٣٣٣
الذهبى "دول الإسلام" ج١ ص ٢٠٣ .

(٢) محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣٣٨ .

شيرزاد واصل ليتسلمك ويخلعك ويسلمك إلى البريدى، فانزعج لذلك وعزم على الإصعاد الى بنى حمدان"[١] الذين دارت بينهم وبين توزون معارك حامية[٢] فضرب عنها ذكرا لكونها خارجه عن موضوع دراستنا الذى خصصناه للبريديين .

وعلى كل حال فإن البريديين قد ضمنوا واسطاً من توزون بعد مصاهرة تمت بينهما[٣]، بيد أن هذه المصاهرة لم تجعل البريديين ينعمون باستقرار فى مناطق ولايتهم فقد داهمهم يوسف بن وجيه صاحب عمان عند الأبله فاستولى عليها وكاد يمتلك البصرة لولا ماقام به أحد الملاحيين المخلصين للبريديين من حيلة قضت على مراكب العمانيين بالنار التى التهمتها فلاذ أصحابها بالفرار تاركين أمتعتهم للبريديين فغنموها ونجا البريديون من هزيمة محققة كانت كفيلة بالقضاء عليهم وإدالة دولتهم من على البسيطة[٤] .

أخذ نجم البريديين فى الأفول بعد أن صارت لهم دولة يخطب ودها عمال الأقاليم المجاورة وأمراء الحضرة .

ويعزى غروب شمس البريديين إلى الإنقسام الأسرى الذى أخذ يعرف طريقه بين الأخوه الثلاثة عبد الله وأبى يوسف وأبى الحسين بسبب تنافسهم على تفرد أحدهم بملكية المال من ناحية وخوف البعض من البعض من ناحية أخرى فقد نما إلى عبد الله البريدى أن الجند يميلون إلى أخيه أبى يوسف وأنه يعمل على القبض عليه والحلول محله،، فتغيرت نفسه من أخيه[٥]، يضاف إلى هذا سبب

(١) النويرى "نهاية الأرب" ج٢٣ ص١٧٢ .

(٢) المسعودى "مروج الذهب" ج٤ ص ٣٤١ .

(٣) ابن الأثير "الكامل" ج ٨ص ٣٩٧. ابن كثير البداية والنهاية "ج١١ ص٢٠٧.

(٤) مسكوية "تجارب الأمم" ج٢ ص ٤٦ .

(٥) ابن الجوزى "المنتظم" ج ٦ ص ٣٣٦ .

محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣٤٣.

آخر هو أن أبا يوسف البريدى كان كثيراً لمآخذ على أخيه لسوء تدبيره فى المال الذي يصل إليه وتهوره في اتخاذ قرارته دون دراسة وإلحاحه فى استقراض الأموال منه فكان أبو يسوف لايمنح عبد الله المال إلا بالقدر اليسير حتى ألجأه الى إرسال الجواهر التى أعطاها بجكم لعبد الله مهراً لسارة التى بنى بها ليشتريها منه أبو يوسف البريدى فيذكر إسرائيل بن جهيز أن عبد الله البريدى استدعاء إليه وقال "قم إلى أبى يوسف أخى - وأومأ إلى درج بين يديه وفتحه فإذا فيه حب لؤلؤ وياقوت أحمر وأزرق يبهر الناظرين - وقال احمل هذا إليه وسله أن يقرض عليه عشرة آلاف دينار ....

فمضيت الى أبى يوسف وحدثته بجميع ماخاطبنى به أخوه وأخرجت الدرج إليه فقال لى : ياأبا الطيب من سوء تحصيله يرى ولو مدت دجله مالاً لبدده هذا رجل حصل له من واسط فى كراته التى تولاها ثامنية آلاف ألف دينار أما وجب أن يستظهر بألف ألف دينار فقلت ياسيدى ومن أولى به منك على تصرف كل حال؟ فتفضل بما طلب فقال : إنى قد أعطيته إلى هذا الوقت ومنذ انصرف من واسط خمسين ألف دينار وماتمتلئ عينه، ابعث الى الجوهريين واحضرهم حتى يقوموا هذا الجوهر وأعطيه قيمته فوجه إليهم وحضروا وأخرجه فى السوم إلى أقصى غاية فاشتط وقال : ياجهال من قال لكم أنى مروان الأموى - فإنه كان راغباً فى الجوهر وحضر للابتياع - أو خماروية ابن أحمد وبن الجصاص ؟ قوموه بما إذا طالبتكم به بكره صححتموه العصر فقوموه خمسة آلف دينار فقال : اعطونى خطوطكم بها فتثبتوا ثم ردوها إلى خمسين ألف درهم وضمنوها فقال : هذا أعطيك فقلت : ياسيدى اجعلها خمسة آلاف دينار فقال : قيم ودع فى القيمة فضلاً لطلبه فإنه سيعاود ويطلب فانصرفت بخمسين ألف درهم إلى أبى عبد الله وحدثته الحديث فقال: لاإله إلا الله قل له : ياأبا يوسف جنونى الذى ذكرته وقلة

تحصيلى أقعدك هذا المقعد وصيرك كقارون"(١)

لم تكد تمضى سوى عشرة أيام على هذه المحاورة التى دارت بين عبد الله ورسوله حتى كان الغلمان قد كمنوا لأبى يوسف البريدى فاستقبلوه بالسيوف على غرة بإيعاذ من أخيه عبد الله وقد أحدث قتله بهذه الصفة ثورة بين البريدية، إلا أن عبد الله لما أراهم جثة أخيه وقد أسلمت الروح إلى بارئها سكنت ثورتهم ولم تجد آلام أبى الحسين سبيلاً إلى فؤاد أخيه عبد الله عند رؤيته أبى يوسف مقتول بل على النقيض من ذلك فإن عبد الله هدد أخاه بتجريعه نفس الكأس إذا لم يثب إلى رشده ويسلم القيادة إليه .

وبعد هذه الجريمة التى ارتكبها عبد الله فى حق أخه أبى يوسف بعشرة أشهر تخطفته المنية بعد حمة نزلت به(٢) .

ودخل آل البريدى بعد عبد الله وأبو يوسف مرحلة جديدة كانوا فيها إلى التبعية أقرب منهم إلى الإستقلال فغدوا آذلاء بعد عزة .

آلت رئاسة البريديين بعد وفاة عبد الله إلى ثالثهم أبى الحسين الذى لم يكن على شاكله عبد الله فى سياسته مع جنده فنفروا منه وتمنوا لو استطاعوا الخلاص من رياسته فى الوقت الذى كان فيه أبو القاسم بن عبد الله البريدى يرقب سيرة عمه مع جنده بقصد اهتبال الفرصة إن واتته للانقلاب عليه والحلول محله(٣) .

---

(١) مسكوية "تجارب الأمم" ج٢ ص ٥٢ ، ص٥٣ .

(٢) ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص ٤٠٩ ص ٤١٠ .
ابن كثير "البداية والنهاية" ج ١١ ص ٢٠٨ .
النويرى "نهاية الأرب" ج٢٣ ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ .
ابراهيم زكى خورشيد وآخران "دائرة المعارف الإسلامية" م ٧ ص١٩١.

(٣) ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص ٤٤٢ .
ابن خلدون "التاريخ" ج٦ ص ٨٨١ .

ولما كان يأنس يبغض أبا الحسين فإنه أوعز الى أبى القاسم باعطائه مالا حتى يعمل على تنصيبه فى الرياسة عوضاً عن عمه فوافق أبو القاسم يأنس ولم تكد تمضى إلا عشية أو ضحاها حتى هاجمت الجند البريدية أبا الحسين فى داره فلاذ بالفراد مستجيرا بالقرامطة على أبى القاسم .

بيد أن هذه الإستعانة لم تفد أبا الحسين فقد تمكن أبو القاسم من تحصين البصرة مما جعل القرامطة يسعون فى الصلح بين العم وابن أخيه وعلى كل حال فإن أبا الحسين رضى من ابن أخيه تأمينه ليسير من البصرة إلى بغداد[١] لما وصل أبو الحسين إلى بغداد أخذ يتشوف الوسائل التى تمكنه من ضان واسط فعرض على توزون اعطائه إياها على مال يدفعه له كل عام .

فلما ترامت أنباء هذه المساعى الى أبى القاسم البريدى فى البصرة سعى به لدى توزون عن طريق بن شيرزاد فأصدر أمير الأمراء توجيهاته بالقبض عليه وأمر بإزهاق روحه فى سنه ثلاث وثلاثين وثلثمائه بناء على فتوى كان الفقهاء قد أفتوا بها من قبل تقضى بإباحة دم أبى الحسين البريدى للأعمال التى اقترفها فى حق الرعيه[٢].

لم يهنأ أبو القاسم فى البصرة بعد مقتل عمه ذلك أن يأنس أراد ممالأه الجند على حياته وكاد ينجح فى تحقيق مأربه لولا أن روستا باش (نائبه على قوات البريديين) تصدى له وأنزل به جراحات دفعته إلى الإستتار بمكان مهجور وعاد أبو القاسم الى عمله بعد أن هم بالرحيل عنه وتمكن من القبض على الأمور من جديد بعد نفيه لأعدائه من البصرة إلا أن هذه الرياسه لم تستمر طويلاً ذلك أن معز الدولة البويهى استطاع محو دولة البريديين من البصرة بعد أن هزم

(١) مسكوية "تجارب الأمم" ج٢ ص٥٩ ، ص٦٠ .

(٢) ابن الأثير "الكامل" ج ٨ ص ٤٤٢ .

البريديين بها وتلاش أمر أبا القاسم للابد وظل فى بغداد حتى توفى فى ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائه(١) .

وبهذا تكون قد طويت صفحة لواحدة من الأسر المغامر التى امتلأ بها العصر العباسى الثانى دون أن تبقى لنفسها إلا سوء السيرة لكونها قد جعلت من خديعة أولى النعم عليها وسلب أموال الناس وإزهاق الأرواح مطية وصلت بها الى أرفع المناصب فى الدولة آن ذاك .

ولما كان حصول هذه الأسرة على تلك المناصب غير مستند الى أساس قوى فإن بقاءها فى الصدارة لم يدم طويلاً ، ويعزى ذلك الى أمور منه.

أ - إن عبد الله البريدى أثر نفسه بالمال الكثير وحكم أغنى المناطق التى حكمتها تلك الأسرة مبقياً لأخويه القليل الذى لايقارن بما تحت يده من نعم .

ب - كان عبد الله البريدى لاينصاع لرأى يبديه له أحد أخويه ويعتمد على نفسه فى تسيير أمور دولته مما جعل أبا يوسف البريدى ينقم عليه ذلك وان لم يبده له لخشيته سطوة أخيه به فلما ضاق ذرعاً من إسراف أخيه وسوء تدبيره أبدى مافى طويته لرسول أخيه عبد الله فكان هذا سبباً فى نهاية حياته.

جـ - إن عبد الله البريدى لم يعن بأمر من يخلفه فى أسرته من بعده فلما عاجلته المنية غدت الأسرة مهيضة الجناح بعد ماكانت بالأمس قوية يخطب ودها ولاة الأقاليم المجاورة مما يدلنا على أن عميد الأسرة كان يتسم بقصر النظر فكانت آماله أكبر بكثير من مؤهلاته الذاتية، ومن ثم كان من اليسير على

---

(١) مسكوية "تجارب الأمم" ج٢ ص ٦١ .
محمد بن عبد الملك الهمزانى "تكملة تاريخ الطبرى" ص ٣٩١ .
ابراهيم زكى خورشيد واخران "دائرة المعارف الإسلامية" م ٧ ص ١٩١.

منافسيه إدالة دولته بعد وفاته لأن خلفاءه جاءوا فى جو نقم فيه الناس على مؤسس دولتهم فهو الذى قتل سيده ياقوت بالأمس ويزهق روح أخيه بسبب سلبه المال اليوم فأصبح انقسام الجند عليهم عاملاً هاماً فى التعجيل بأفول نجمهم .

د - إن خلفاء عبد الله على دولته وجدوا فى ظروف عصبيه أحاطت بهم من الخارج جعلت من المستحيل بقاء شمس دولتهم مشرقه ذلك أن البويهيين الأقوياء صاروا أصحاب الحول والطول فى بغداد وتحتاج العلاقة بهم الى أناس أتسموا بالحنكه والكياسة وحسن السياسة وهذا مالم يتوفر فى واحد من خلفاء البريدى، فابن الأخ يعمل على إدالة عمه والجند صاروا فرقا تبعاً لولاء قادتهم الديالمة لهذا أو ذاك ليس ذلك فحسب بل إن تردى الأحوال فى دولة البريديين جعل قائداً ديلميا مثل يأنس يعمل على تهيئة الجو لنفسه للجلوس على عرش الدولة .

تلك كانت الأسباب التى عجلت بانهيار دولة البريديين هذه الدولة التى جعل مؤسسها مبدأ الغاية تبرر الوسيلة نبراسا له أستنار به فى طريقة فضرب عرض الحائط بالمبادىء المثالية واستحل ظلم الرعية الى حد أن النويرى أنف من تدوين ظلمه للناس - كما أسلفت إلا أننا توفرنا على دراسة أحوالها وكما كان من أمر قادتها مع الرعية والحكم على أفعالهم لتأكيد حقيقة أن الملك زائل وأن الشىء الذى ينبغى على الحاكمين الحرص عليه هو مراعاة حق الله فى الرعية .

تمت بحمد الله